بسم الله الرحمن الرحيم

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

السيرة النبوية

مقدمة

قد اهتم كثير من العلماء، وحفّاظ ملة الاسلام، من سكان البلاد الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها: مع اختلاف السنتهم وألوانهم، وتنوع مذاهبهم ومنازعهم، بتدوين سيرة رسول الله ﷺ، وجمع مغازيه، وتأليف شمائله، وسرد معجزاته؛ لانها بلاغ للناس، وهدى وموعظة للمتقين، وآيات واضحة المحجة، قوية الحجة، ترشد السالك، إلى أقوم المسالك، وتعلم المالك، تدبير الممالك، وتنبه الغافل، وتردع الجاهل، وتبين الحق حقا والباطل باطلا

وقد أنزل الله القرآن المجيد بتفاصيل السيرة النبوية، وبسط وقائعها، وقص قصصها ونشر احاديثها، يخاطب من أرسل اليهم من قومه ومن غير قومه، ليترسموا خطاه، ويهتدوا بهداه، ويتعظوا ويعتبروا، فكم فى صحف السيرة النبوية من عبرة، وكم بين دفتيها من عظة، وما اكثر مايجده الباحث المدقق فى سطورها من الحكم البالغة،

التى تثبّت فؤاده فيؤمن ، وتنير بصيرته فيوقن ؛ وما أجدى مايتلقاه الناقد المحقق عن وحيها من الدروس العالية ، التى تهذب نفسه فيفهم ، وتطهر روحه فيعلم ، وتدعوه الى توخى الحق ، وتحرى الصواب ، ومناصرة الفضيلة ، والتضحية بالنفس والمال فى سبيل الانصاف ، وهذا أقصى مايرجوه الفطن الحازم ، من دراسة أخبار الرجال ، واستقصاء سير الابطال .

وبعد فان أكثر الناس انتفاعا بسير رسول الله ﷺ ، وأكبرهم حظا منها ، أوفرهم قسطا من الدنيا : كالسلاطين والامراء ، وقادة الجيوش وسواس البلدان ، والقوامين على الناس ومدبّرى أمور الجماعات ، وما الى هؤلاء من ذوى المناصب الاخرى كالقضاة واهل الفتيا ؛

على أن أقلهم حظا من الدنيا لايخلو أن ينتفع بها فى سياسة منزله ، وتربية بنيه ، ومعاملة ذويه ، وعشرة صديقه ، وغير ذلك كواجبه نحو خالقه ونحو نفسه ،

وهذا إلى أن استقصاء أخبار هذا الرسول الكريم ، يوصل الى معرفته معرفة أساسها اليقين بالله العلى العظيم الذى ارسله للناس رحمة ، ويفتح الطريق الى فهم كثير من آى الذكر الحكيم ، فهماً يثبت الايمان فى القلوب ، ويبعث الجوارح على العمل . ويرغب فى الاقتداء بسنته ، واتباع خطاه ، والتماس السعادة فيما روى عن صحابته ، من محاسن طريقته . ولاشك أن كثرة الاستذكار لسيرة رسول الله ، تجعل أحواله وشمائله ، وفضائل أصحابه أئمة الهدى من بعده ، كأنها ماثلة يشاهدها المتذكرون مشاهدة ، فيحسنون الاتباع وهم على بصيرة ، فما راء كمن سمع

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسراياه ، ويقول : يابني هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها

المؤلفون فى السيرة

أول من ألف فى السيرة النبوية أبو محمد عبد الملك بن هشام المَعَافرى النحوى البصرى نزيل مصر ، المتوفى سنة ٢١٣ هـ

وقد رواها عن زياد بن عبد الله العامرى (عامر بن صعصعة) البكائى الكوفى (أخرج له البخارى ومسلم) ، عن أبى بكر محمد بن اسحق المدنى القرشى المطّلبى ، مولى قيس بن مَخْرَمَة بن عبد المطلب (حدث عنه أئمة العلماء ومنهم يحيى بن سعيد الانصارى ، وسفيان الثورى ، وكان الزهرى يتلقف المغازى منه) ، توفى ببغداد سنة ١٥١ هـ

وقيل ان الزهرى سبقه الى ذلك ، وان سيرته أول سيرة ألّفت فى الاسلام ، وهو الامام أبو بكر محمد بن مسلم ..... بن شهاب القرشى المدنى التابعى ، المتوفى يوم ١٧ رمضان سنة ١٢٣ هـ عن ثنتين وتسعين سنة .

وقفّى على آثاره الامام الحافظ الناقد أبو الفتح محمد بن محمد ابن سيّد الناس اليَعْمرى الاندلسى الأصل ، المصرى المتوفى سنة ٧٣٤ ، وله سيرتان تسمى احداهما (عيون الأثر فى المغازى والشمائل والسير) وهى من أحسن المؤلفات ولكنها طويلة الأسانيد .

ثم علىّ بن برهان الدين الحلبى الشافعى ، وقد لخص سيرة ابن سيد الناس وسيرة الشمس الشامي فى سيرته (انسان العيون فى سيرة

الأمين المأمون)

ومن المؤلفين المحدثين : أحمد بن زيني دحلان ، الذى لخص ما احتوى عليه الشفا وشروحه ، وما جاء فى المواهب اللدنية ، وماجاء فى السير الاربع المتقدمة ، وضمن ذلك كله سيرته التى تسمى (السيرة النبوية والآثار المحمدية) وقد حذف فيها مباحث متعلقة بالسيرة ، ولكنها زائدة على المقام ، ليحمل الراغبين على قراءتها والاحاطة بها ، من غير أن يَمَلّوا ويسأموا .

وَلا أدل على مزيد عناية المسلمين بسيرة نبيهم ، من أن يتصدى بعض علمائهم إلى شرح ما وضع من السِّيَر ، وتفسير ما اشتمل عليه حديثها .

مثل ابن هشام نفسه ، فان له كتابا فى شرح ماوقع فى أشعار السيرة من الغريب .

ومثل الفقيه المحدث أبى القاسم عبد الرحمن الخثعمى السهيلى المتوفى بمراكش سنة ٥١٨ هـ .

وهو الذى وضع كتابا سماه (الروض الأُنُف ، والمشرع الرِّوَى فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى ، (سيرة ابن هشام) وتذليل مااستصعب فيه من عويص الانساب ، وغوامض الاعراب وغريب اللغات والآداب ، وتتميم لخبر ، أو فقه منتزع من أثر ،) ويكاد هذا الروض يكون سيرة مستقلة .

ومثل تقى الدين أبى بكر بن على بن حجة الحموى ، الذى ألّف على السيرة والروض معا كتابا سماه (بلوغ المرام من سيرة ابن هشام

والروض الأُنف)

ومثل الحافظ المحدث أبي ذرّ بن محمد بن مسعود الخُشَنى ، الذى شرح كتاب السيرة لابن هشام شرحا قصد فيه بيان ما استبهم من غريبه ومعانيه ، وإيضاح ما التبس تقييده على حامله وراويه ، مع اختصار لايخل ، وايجاز يتم به البيان ويستقل .

ومن عجب أن يقوم بطبع هذا المؤلف فى مصر : امبراطور المانيا ملك بروسيا ، وملك ورتمبرغ ، مما يدلك على أن أهل الأديان الأخرى عنوا أيضا بالبحث فى أحوال هذا النبى الامى العربى الذى غيّر وجه التاريخ ، مستمدين من الكتب النادرة القيّمة التى تصدت لشرح سيرته ، عاملين على طبعها ونشرها ليسهل على المستشرقين منهم فهم مايلتبس عليهم من مفرداتها وجملها .

ومثل ابراهيم بن محمد بن المرّجل الذى الف كتابا سماه (الذخيرة فى مختصر السيرة) وهى سيرة ابن هشام ، وقد زاد فى كتابه أمورا ورتبه على ١٨ مجلسا ، وفرغ منه سنة ٦١١

على أن كثيرا من افاضل العلماء تناول سيرة ابن هشام فجعلها نظما ، ومنهم أبو نصر فتح بن موسى الخضراوى المتوفى سنة ٦٦٣ هـ

وفتح الدين محمد بن ابراهيم بن الشهيد المتوفى سنة ٧٩٣ صاحب (فتح القريب فى سيرة الحبيب) ومنظومته هذه بضعة عشر الف بيت.

وهذا إلى مالا يكاد يدخل تحت حصر من المؤلفات وقصص المولد ، وقصائد المديح التى من أشهرها البردة والهمزية للامام البوصيرى ، والتائية للسبكى . واخيرا نهج البردة لشوقى بك أمير الشعراء .

ولم يزل المسلمون على توالى عصورهم يدونون أخبار رسول الله ، ويتناولها الخلف عن السلف بالشرح والضبط والاختصار والنظم إلى وقتنا الحاضر : وسيظل هذا منهاجهم إلى ماشاء الله

ولايخفى ان السّير المؤلفة تجمع الصحيح والسقيم ، والضعيف والمرسل ، والمنقطع والمعضل ، دون الموضوع ، وهى على كل حال قصص ، وهى بأى صورة أخبار

والمفروض فيمن ألّفوها مطلقا، حسن النية،فانما الاعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى ، ولاشك فى أنهم قضوا شطرا من حياتهم فى السماع والنقل ، والاجتهاد والتحرى والتمحيص ، وعملوا على ألاّ يغادروا صغيرة ولاكبيرة ، وقصدوا ألاّ يتركوا شاردة ولا واردة ، مما أثر عن نبينا الأعظم ، من قول أو فعل ، إلا أحصوها ورَوَوْها ، وجمعوها ودونوها ، لاليتعبد الناس بتلاوة ماجاء فيها ، ولا لتكون كآيات التنزيل يجب اعتقادها ، ويعتبر الشك فيها خروجا على الدين أو زيغا فى العقيدة ، بل رجاء أن يكون فى ثناياها مايدل الخلق على التماس الحق ، ويجبب اليهم نبيهم ومانقله السلف الى الخلف من أخباره ، فيبعثهم ذلك كله على اتباع طريقته ، واقتباس المكارم والفضائل من سيرته ، وقد قال أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة : « إذا روينا فى الحرام والحلال شددنا وإذا روينا فى الفضائل ونحوها تساهلنا » . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .